# الحقيقة المحمدية والعلم الحديث

## النور المحمدى السارى فى سائر الأسماء والصفات

الأستاذ مصطفى طه شكيبان

الإنسان والملائكة والجن :

١ — من فيض أنوار رحمة الله جاء آدم صنعة الله لذاته ، آية كبرى بين يديه ، وسراً أعظم للوجود كله ، ومفتاحاً كريماً لحكمة الله فى الأكوان وصورة رائعة الجلال على صفات قدس الرحمن :

فإذا سويته ونفخت فيه من روحى ...

خلق الله آدم على صورة الرحمن ...

٢ — ومن فيض أنوار نعمته أقامه فى أكرم حقيقة وأجل كيان :

لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم .

٣ — ومن فيض أنوار حكمته خلع عليه جلال الخلافة عنه فى الملك ، وأحله منازل كرامته فى الملكوت — مخلوق الله لذاته فى أرضه وسمواته ، وضيفه الكريم فى جناته ، وصفيه المختار لحضرته :

إنى جاعل فى الأرض خليفة ... والله يدعو إلى دار السلام ويهدى من يشاء إلى إلى صراط مستقيم ، للذين أحسنوا الحسنى وزيادة . وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة .

إن المتقين فى جنات ونهر ، فى مقعد صدق عند مليك مقتدر واتخذ الله ابراهيم خليلا .

لو كنت متخذاً غير ربى خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ، ولكن صاحبكم خليل الرحمن . . .

٤ — ومن فيض أنوار علمه أطلعه على صور الوجود ، وحكمة الوجود ، وأكرمه بنور المعرفة العليا دون خلائقه أجمعين ، فجلس إليه الملائكة يتلقون عنه حكمة الله السارية فى كل الوجود . . وما زالوا يتعلمون ! ! .

وعلم آدم الأسماء كلها . . ثم عرضهم على الملائكة فقال : أنبئونى بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . . قالوا : سبحانك لاعلم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم . . قال: يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال : ألم أقل لكم إنى أعلم غيب السموات والأرض . . .

٥ — ومن فيض أنوار روحه نفخ فينا روح الوجود ، وسر الخلود ، ونور التسامى والصعود ، من فوق كل الوجود أصفياء الحق لذاته ، ومختاريه لحضرته فإذا سويته ونفخت فيه من روحى ، فقعوا له ساجدين .

وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة .

٦ — ومن فيض أنوار صفاته القدسية : فطرنا صورة عليا على جماله الباهر : لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم . . . صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة تخلقوا بأخلاق الله . . . إن لله ثلاثمائة خلق . . من تخلق بأحدها دخل الجنة . ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون . لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم ، حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم . . . » كان خلق رسول الله القرآن .

كونوا مثل أبيكم الذى فى السموات ، فإنه تشرق شمسه على الطائعين والعاصين .

٧ — ومن فيض أنوار كرمه : اختصنا بحضرته وكرامته ، وأضافنا إلى ذاته ومنحنا أسرار الوجود ، وسخر لنا كل موجود — فى ملك وملكوت — من كل كائن من الجن فما دونهم ، ومن الملائكة فمن مثلهم ومن دونهم . . أحاطنا بعزته بفيض من ربوبيته ، فانطلقنا عباده المصطفين الأخيار ، والمكرمين الأبرار :

ولقد كرمنا بنى آدم . . . وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون . فأنا أول العابدين . . . وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعاً منه إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون .

فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب ، والشياطين كل بناء وغواص ، وآخرين مقرنين فى الأصفاد . هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب . . . ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه ... إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين تكاد السموات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ، ويستغفرون لمن فى الأرض . . . والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ...

٨ — هذا هو الإنسان مخلوق الله لذاته : من روح الله روحه ، ومن أنوار فيوضات الله .. حياته ومعرفته ، وكيانه ومقاليده .. الكل مخلوق من أجله ، وهو هو مخلوق الحق لذاته ، أول العابدين منه ، وأول المسلمين منه ، وأروع العارفين بالله منه .. حتى إن الملائكة لتستقى المعرفة من فيض علمه ، وترقى فى فيض نوره فى كرامته وفى صحبته :

الرحمن فاسأل به خبيراً .. وما كان الخبير غير محمد الإنسان ... وعلم آدم الأسماء كلها ... قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم ...

٩ — هذا هو الإنسان مفتاح سر الكون ، وحامل أمانة الحق ، ووجه حكمة الخلاق ، ونور وجه الرحمن .

إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان . واصطنعتك لنفسى .

خلق الله آدم على صورة الرحمن .

فما الأكوان بين يديه ؟ .

نور الأكوان وصفاء الإنسان . . .

الكون كله أنوار متسامية بعضها فوق بعض . . والإنسان فيها شمس هذه الأنوار ، ومفتاح سرها ، وخلاصة كيانها . . .

الكون من مادة متماسكة ، أو مادة متشعة . . وكلها من عناصر وذراتها من كهرباء . . أى من نور متماسك فى أرض ، وضياء متشع فى نجوم وشموس .. والحياة فيه جماله وحياة الإنسان من فوق حيواته سره وضياؤه الباهر .

فإن كان الكون من نور .. فكيف بالحياة ؟ .

وإن كانت الحيوات فى نبات وحيوان خلاصة المادة وصفوتها . . فكيف بالحياة فى الإنسان ؟ .

إن تيار الكهرباء فى أسلاك المادة أحال الظلام إلى أنوار باهرة ! ! . فكيف بروح الحياة ؟ . .

إن مصابيح الزجاج والأسلاك تملأ الأرض ضياء .

وإن ضياء النفوس الزكية ، وأنوار القلوب المشرقة ، وحكمة العقول الباهرة . . هى سر كل جمال فى الكون ، وروعة كل سعادة فى الحياة . . فكيف لا تكون أجل من ضياء الشمس ونورها فى الحياة ؟ !

قضايا تأخذ من اليقين العلمى ، واليقين القرآنى صورته وبراهينه .. قال تعالى :

وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب صنع الله الذى اتقن كل شىء .

قال العارف بالله فريد ابن العطار :

إن لكل ذرة فى الوجود شمساً ظاهرة وشمساً باطنة .

وليس ذلك سوى منطق العلم اليوم عن ذرات المادة المكونة من كهرباء فى نواة موجبة ( بروتون ) ومن الكترون سالب دوار حولها .. حتى عد العلماء السر الذى جمع بين الطاقة والمادة ومنح الإنسانية معرفة أجل عن تكوين الوجود وأنه طاقات متماسكة ، وطاقات متشعة ، قالوا : إن هذه مفاتيح أسرار الوجود فى الآفاق .. وقال من قبل سيد من العارفين هو سيدى محيى الدين بن عربى عن عالم السمسة الذى يعطى فيه كل شىء سره وطاقته .

ولو لم يكن فى الذرة من سر إلا تفسير الكون بأنه كتل من النور والضياء تماسكت وجمدت فى المادة ظاهراً ، وانطلقت وتشعت فى النجوم ظاهراً ، وانطلقت

فى الحيوات باطنا .. لو لم يكن إلا ذلك لكفى فهو تفسير قانون الوجود الذى وضعه الله ، وحدثنا عنه فى قوله تعالى :

الله نور السموات والأرض .

فما ثم إلا النور .. والإنسان فى موكب النور المخلوق .. وفى قمته ومعراجه الأسنى قرباً من النور الذاتى الكلى الأعظم . فالوجود فيض النور الأعظم ، والإنسان خلاصة هذا الفيض ونور سناه ..

ترى أيفيض النور غير النور ؟ ! وهل يفيض الرحمن غير الرحمة ؟ . .

والآن كيف سرت حكمة الله فى كتاب ؟ . .

وكيف تجسدت رحمته فى بشر ؟ .. وكيف تجمعت أنواره فى إنسان ؟ . .

*نور الحكمة ونور النبوة :*

فاض الحكيم ذو الجلال والإكرام على الوجود رحمة محيطة .. فى أرزاق جارية ، من الأرض نابعة ، ومن السموات متدانية :

وهو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه . . وفى السماء رزقكم وماتوعدون إن رحمة الله قريب من المحسنين . ربنا وسعت كل شىء رحمة وعلماً . فجرت ينابيع الخير تمسك بكيان الحيوات فى معيشة على الأرض . . وكانت تلك حوافظ الحياة فى كيان . .

ولكن الأجل من ذلك دوافع الحياة فى تطور وروح تساميها فى معراج إلى رب الحياة مصدرها الأول ، وملاذها الأعظم .. عود على بدأ .. كما بدأنا أول خلق نعيده . إن إلى ربك الرجعى .

لذلك جاءت حكمة الله فى كتب ، وتنزلت صلوات الله على عباده فى حكمة ، وتجلت أنواره فى بشر .

فما أن تناسى آدم رسالته وسيادته فى عالم النعمة الذى لا يجوع فيه ولا يعرى ، ولا يظمأ ولا يضحى . . ما إن تناسى ولم يجد له الرحمن عزماً . . حتى جاءته من بعد الخطيئة رحمة التوبة تسمى :

فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه . . جاءته حكمة الهدى فى إنابة وكلمات وصلوات . . أوفى ذرية كريمة كلمات هدى وحياة مباركات . . كما قال تعالى فى عيسى : وكلمة ألقاها إلى مريم وروح منه . . فمن أجل هذه الكلمات وشفاعتها . . ومن كرامة جوامع كلماتها محمد الكريم كانت رحمة آدم وذريته ، ليقوم برسالته مستأنفاً سعيه وكدحه فى لقاء ربه .

يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه .

لقد جاءته أنوار الله تهديه إلى أنوار فضل الله وقربه :

ياابن آدم كن خليفتى كما أردتك أكن لك كما تحب وفوق ما تحب كن معى أكن معك . . أذكرنى أذكرك . . أشكرنى أزدك . . تعرف على أتفضل عليك . . كن لى أكن لك سمعك وبصرك ونور كيانك وتساميك . . الرحمن فاسأل به خبيراً . من يطع الرسول فقد أطاع الله ، فاذكرونى أذكركم ، واشكروا لى ولا تكفرون . لئن شكرتم لأزيدنكم أنا عند حسن ظن عبدى بى ، وأنا معه إذا ذكرنى . .

ومن تقرب إلى ذراعا تقربت إليه باعاً . ومن أتانى يمشى أتيته هروله .

ولا يزال عبدى يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه . . وبصره . . ويده . . ورجله التى يمشى بها . . .

فيقال عنه : وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى .

ويقال عنهم : فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم .

ويقال عنكم فى الملأ الأعلى : ربانيون . . ولكن كونوا ربانيين

هذه إذاً أنوار الله تمشى على الأرض بشراً وناساً وحيوات رائعة من جلال الحق . . وتنطلق فى الوجود روح الوجود وهداه ، وسر الخلود وسناه . . من النور صدرت ، وفى النور تعيش ، وفى النور تتسلى ومع النور تصعد فى رحاب النور الأعظم . .

ولأمر ما . . سمى الله حكمته فى كتاب روح الحياة ونورها . .

وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الأيمان

ولكن جعلناه نوراً نهدى به من نشاء من عبادنا . وسماه برهان الحق وضياء : « يأيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا » . . . وقال : فآمنوا بالله ورسوله والنور الذى أنزلنا . . وقال : إن آياته تزات لتخرج الناس إلى موكب النور :

ألم . كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور . وصلواته منه على عباده كذلك .

هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور .

ويوم يقوم الناس لرب العالمين . . يقوم المؤمنون فى موكب النور يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم ، وبأيمانهم . . ويطلبون مزيداً من النور وتمام النور : يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون : ربنا أتمم لنا نورنا . .

فهل تتصور أن يقود موكب النبوة فى الأرض وموكب النور فى السماء غير النور ؟ . . لن يكون غير النور . . إن نور النبوة مع نور الحكمة . . نور الحياة ، ونور الهداية . .

والآن . . فما مكانة نور المصطفى بين أنوار النبوة ؟ . .

*نور المصطفى ونور النبوة . .*

لا عجب أن تكون الحياة رقائق النور فوق الكون صنعة النور ولا عجب أن تكون حكمة الخلاق أنوار الهدى ليخرج الحياة الى النور الذاتى من رحاب النور المفاض : . .

ولا عجب أن يكون لواء الموكب النورانى بيد الأنبياء أنوار الحياة فى موكب النور والحياة . .

يقول عيسى عليه السلام : أنا هو نور العالم . . أنا هو القيامة والحياة . . لا دينونة على من دخل قلب يسوع . .

لا يدخل ملكوت السموات من لم يولد مرتين ...

وعنى بذلك أنه من الله للناس نور وحياة ، من انغمر فيهما فلا حساب عليه ، وأصبح حيا بحياتين .. حياة الملك بالمادة وحياة الملكوت بأنوار الهدى ، فولد مرتين ...

وقال الله عن إنجيله وتوراة موسى .. إنها نور وهدى .. فهم مصابيح الحياة تحمل مصابيح الحكمة ...

ثم عقد الله اللواء الأعلى لنبي الأنبياء ، وعلم العلماء ، وخلاصة الحياة وصفوة الأنوار ، وجماع الكلمات التامة فى الحياة ..

محمد الكريم .. فقال : إنه وجه الرحمة للعالمين ، وشهيد الحق فى الخلائق أجمعين ، وإمام الكل فى موكب النور لرب العالمين وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين . يأيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعيا إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ... فهو وجه الله ويد الله ورحمة الله ونور الله إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله . بالمؤمنين رؤوف رحيم .. قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . فأعلن عن حقيقته : وإنما أنا رحمة مهداه ...

فإذا انطلقت الشمس سراجاً منيراً تمنح الكون الحرارة والضياء ، لتقوم الحياة فى ماديتها وأرضها وظلماتها وشهواتها وغثها وسمنها ، وطيبها وخبيثها .

فقد انطلق محمد الكريم سراج الحياة ونور الحياة وسمو الحياة فى طهرها وطيبها وعطرها وسمو معناها .

نور الشمس أمسك بالحياة على الأرض ... إلى رحاب الحق ... وتلك رحمة الكرامة وأيا ما كان الأمر !!

فالوجود أنوار متسامية ... فى قمتها نور الحياة ...

وفى قمة أنوار الحياة نور الحكمة والنبوات ...

وفى قمة أنوار النبوات نور المصطفى قائد موكب العالمين فى أرض وسموات ...

فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً .

والآن فما يقول الصوفية فى النور المحمدى فى مزيد بيان ؟ !!

ذلك حديثنا القادم بتوفيق الله العظيم تحية لذكرى الإسراء والمعراج :